عنوان المحاضرة التاسعة : المجامع النقدية القديمة العمدة لابن رشيق القيرواني

مقدمة :

تعد المجامع النقدية القديمة من أهم الكتب التي يحتاج لها الباحث في مسيرته البحثية كونها هي العدة التي يتسلح بها من أجل تأكيد صحة رأيه وتفنيد أراء آخرين فالاعتماد على النقد هو من يجعل البحث ممحص و خال من الهنات والشوائب اللغوية و التركيبية و البنائية و كذلك هو المقوم لبعض الأفكار الأدبية والعلمية والفقهية التي تحتاج إلى إثبات عن طريق الحجة والدليل وهناك الكثير من المصنفات التراثية النقدية ككتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة و طبقات فحول الشعراء و حازم القرطاجني و منهاج البلغاء و سراج الأدباء و تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة و كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وسنتناول كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني كنموذج فكتاب العمدة : هو كتاب نقدي بلاغي اشتهر ابن رشيق بكتاب العمدة وهو كتاب استطاع أن يستوعب النقد العربي في المشرق، و نظم البلاغة القديمة في المشرق، و قدم الشواهد الشعرية القديمة في هذا الكتاب فهو كتاب مغربي مشرقي غير أنه بعض المشارقة لم يذكر وه ، كذلك جُمعت في هذا الكتاب أهم الأحكام النقدية ,

العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده : لابن رشيق ولد سنة 390م في المحمدية و انتقل الى القيروان و يقال كان أبوه رومي من أتباع الأزد و كان أبوه يشتغل بالصناعة فعلمه لكنه قرأ الأدب وطلب الشعر فأدرك أن ابنه يطلب العلم فرحل الى القيروان ، وهناك تحصل على معارف كثيرة و تعلم من شيوخ القيروان منهم عبد الكريم ابن إبراهيم النهشلي و لما اشتد عوده في الأدب و الشعر و نبغ فيهما اتصل بالسلطان المغربي ابن باديس الصنهاجي فمدحه وقربه إليه و جعله من خواصه الى أن هجم بنو هلال وهم من عرب الصعيد المصري على القيروان فانتقل مع السلطان الى المهدية بتونس وذات يوم دخل على السلطان المُعتزّ فحياه و قال كلاما لم يعجب السلطان فحدثت بينهما فجوة فذاقت الدنيا بابن رشيق فابتعد عن البلاط و لما تولى ابن المعتز الحكم فمدحه ابن رشيق غير أنه لم يلقى الرضا فقرر أن يلتحق بصديقه شرف القيرواني الى صقلية بينما ابن شرف ذهب الى الأندلس فبقي هناك الى أن توفي سنة 463ه أما عن شعر فيقال أنه شبيه بشعر ابن الرومي ، أما عن ثقافته كان واسع وموسوعي أهل زمانه ، وكان ذواقة و فنانا في معرفة مواطن القبح و الجمال و هذا يدل على الذوق الرفيع وكل هذا جعله يتبوأ أركان النقد الأدبي عند العرب,

مؤلفاته : التي ذكرت و طبعت في كتاب موسوم بقراضة الذهب و الذي تعرض فيه للسرقات الشعرية كتاب نموذج الزمان في شعر القيروان ذكر فيه أكثر من مئة شاعر من معاصريه في القيروان أما كتاب العمدة و الذي حققه محمد محي الدين عبد الحميد سنة 1934م ,

مضمون كتاب العمدة :

فيضم القسم الأول : منه قضية الدفاع عن الشعر والشعراء حيث قال أن الشعر أفضل من النثر و قال أن الشعر يرفع الناس و يضعهم و القبائل كانت تحمي وتفرح بالشعراء أكثر من شئ آخر, كذلك أشار في كتابه الى القديم و الجديد في النقد و الشعر,
تعرض للشعراء المقلين ,

و رأي النقاد :و فيهم تفاضل بين الشعراء وراح يضع للشعر أربعة أركان هي اللفظ و المعنى و الوزن والقافية ,,, كذلك يبين ابن رشيق أن اللفظ و المعنى متحدان في الكلام و لا يجوز الفصل بينهما عند الكلام على الشعر فقال : اللفظ جسم و روحه المعنى و ارتباطه به ارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه و يقوى بقوته فإذا سلم المعنى و اختل اللفظ نقص الشعر و كذلك ان ضعف المعنى كان اللفظ أكثر حظا للضعف فكما تمرض الأجسام تمرض الأرواح
وأشار كذلك إلى المطبوع و المصنوع وانتقل إلى قضية الوزن والقافية، و أراء العلماء فيها ويشير إلى ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي في معنى القافية و الحروف التي تتآلف منها القافية و تحدّث على أنواع البحور الشعرية كالمقسمات و المعممات و يشير كذلك إلى ثقافة الشاعر التي تتكون من حفظ الشعر، و أيام العرب، و أخبارها و ينتقل بعد ذلك إلى شكل القصيدة و تركيبها في القديم فيفضل افتتاح القصيدة بالنسيب مثلما قال ابن قتيبة و يتعرض لنهايتها ما يعرف بالمقطع والمخلص كما لم ينسى الجانب البلاغي لأن الكلام لا يكون موفقا إلا اعتمد على البلاغة من تشبيه و استعارة و كناية و ذلك أن الكلام لا يكون موفقا في في جملته و أجزائه إلا إذا كان بليغا لذلك أشار إلى البيان والبديع و موقف الشعراء و البلاغيين في هذا الفن ، وتعرض لأغراض الشعر و السرقات الأدبية أي أنه يدقق في القضايا,
أما القسم الثاني : من الكتاب فيركز فيه على جوانب عامة بلاغية و نقدية و شعرية,
و هناك أمثلة شاهدة على هذه الأقوال مما ذكره مما ذكره القدماء في كتبهم النثرية ,
قيمة الكتاب : فقد جمع خلاصة النقد و البلاغة و العروض فكان كتابه المرآة العاكسة للحركة النقدية في المغرب العربي,
التبويب في كل قضية تناولها كما أظهر قدرة على التحليل و الجدل و تقديم البراهين على ما يقول فكان كتابه مملوء بالمصطلحات البلاغية و النقدية بالإضافة إلى ذوقه السليم أي أنه عالج النقد بطريقة تحليلية مقارنة و أعطى رأيه في الكثير من القضايا النقدية البلاغية أم كان صاحب رأي و موقف في الثقافة النقدية البلاغية العربية بحيث استفاد من العلوم الأخرى كعلم النفس و الاجتماع كما لا ننسى الجانب الأخلاقي الذي اتصف بالأمانة العلمية في النقل و الرواية و الاعتراف الصحيح بما له و لما لغيره فصار رجل عقل و ذوق فكان ابن رشيق من أشهر المشاهير في البلاغة و النقد الذين عرفهما التاريخ العربي ومع كل هذا فقد عيب عليه عدم وضوح المنهج النقدي العام و كتابه أنه لم يكن صاحب النظرية و المنهج و إنما هي معارف عامة تفصلها و تبويبها من أجل إعادة القراءة للمصنفات النقدية البلاغية التي سبقته